الملك

إن من أسماء الله الحسنى : المَلِك ، « وإن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » [رواه البخاري] ، قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] .

وعند السادة الشافعية يجب أن يقرأ المصلي في الركعة الأولى : مالك يوم الدين ، وفي الركعة الثانية : مَلِك يوم الدين[1] ، وقد ورد هذا الاسم في آية أخرى قال تعالى :

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٥] .

وفي آية رابعة قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

---

(١) الحديث رواه أبو داود بسند صحيح من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها ذكرت ـ أو كلمة غيرها ـ قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، يقطع قراءته آية آية .

وفي آية خامسة قال تعالى :

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٨٣] .

تعريف الملِك :

القدرة على التصرف ، إذاً هو من أسماء الذات ، ويمكن أن يكون من أسماء الأفعال ، ومعناه المتصرف .

قرأ مالك بن دينار في الكتب أن الله يقول :

« أنا ملك الملوك ، ومالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، وإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإنِ العبادُ عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة . . . فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، وادعوا لهم بالصلاح ، فإنّ صلاحهم بصلاحكم » .

الله : ملك بل مالك الملوك ، ومعنى هذا أن أي شيء يُملَّك : مالكه الله سبحانه وتعالى ، وقال بعض العلماء : الملك هو الذي يحكم ولا يملك ، والمالك هو الذي يملك ولا يحكم ، والله سبحانه وتعالى مالك وملك .

أحياناً يملك الإنسان الشيء ولا ينتفع به ، وليس من حقه أن يتصرف فيه ، وأحياناً ينتفع به ويتصرف فيه ولا يملكه ، وأحياناً يملك الشيء وينتفع به ، ويتصرف فيه ، وليس المصير له .

مثال : بيت يملكه إنسان ملكاً حراً شرعياً ، يسكنه ، ويملكه ، وينتفع به ، فإن صدر قرار استملاك فلا يكون مصيره إليه ، إذاً إذا قلنا : إن الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك فهو يملك الشيء ،

ويتصرف به ، ومصيره إليه ، فتكون أعلى درجات الملكية هي ملكية الله سبحانه وتعالى .

سئل أعرابي يملك قطيعاً من الإبل : لمن هذه ؟ قال : لله في يدي ، فالمؤمن الصادق : بيته ، متجره ، سيارته ، خبرته ، مكانته ، شهاداته ، يراها بملك الله عز وجل .

مثال : أعلى طبيب في اختصاصه ، إذا تجمدت خثرة في دماغه ، يفقد ذاكرته فمصيره إلى مستشفى المجانين ، إذاً مَن مالك الملك ؟ الله سبحانه وتعالى .

هذه العين التي ترى بها ، من مالكها ؟ الله سبحانه وتعالى ، هذه الأذن ، هذا اللسان ، هذه الحركة ، هذه القوة ، أيْ : مِن لوازم الإيمان أن ترى أن كل شيء بحوزتك هو ملك لله عزوجل سمح لك أن تتصرف به .

لمن هذه الأرض ؟ لله في يدي ، وبيتك لله في يدك ، ومتجرك لله في يدك ، مركبتك لله في يدك .

الآن إذا قلنا : فلان مَلِك ، هل نقصد بها حقيقةً أم مجازاً ؟ العلماء قالوا : لا يمكن أن يملك حقيقةً إلا الله ، وأيُّ وصف للملكية لغير الله فهو على سبيل المجاز فقط ، لأن الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ، فهل من ملك يستغني في ذاته عن كل موجود ؟ ألا يستنشق الهواء ، ألا يشرب ، ألا يأكل ، ألا يشعر بحاجته إلى النوم ، ألا يخاف ، ألا يحزن ، ألا يتمنى أن يكون له أعوان كثر ، إذاً أي إنسان مفتقر في وجوده وفي صفاته إلى إنسان آخر ، لا يمكن أن يكون ملِكاً حقيقياً ، الملك الحقيقي هو الله ـ

عز وجل ـ ، وإذا سمينا فلاناً ملكاً فهو من باب المجاز .

المَلِكُ الحقيقي الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاجه كل موجود ، بل لا يستغني عنه شيء في شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ، فهو ملك في ذاته ، في وجوده ، في صفاته ، مستغنٍ عن كل شيء ، بحاجة إليه كل شيء ، هذا هو الوصف الدقيق للملك ولا يستحقه إلا الله عز وجل ، إذاً الملك الحقيقي هو الله ، وكل من يصف نفسه : أنه ملك ، أو مالك هذه الدار ، أو مالك هذه الدكان ، أو مالك هذه التجارة ، أو صاحب هذه الشركة ، هذا من باب المجاز ، اعرف حجمك الحقيقي ، رحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده .

الله سبحانه وتعالى : مالك مُمَلِّك ، والشخص الذي لا يستطيع أن يملِكَكَ فليس مَلِكاً ، فمن لوازم هذا الاسم أن الله مالك مملك ، والدليل قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

والمُلْك الحقيقي هو أن يَمْلِكَ هواه ولايَمْلِكُه هواه ، والذي أُعتِق من أَسْرِ نفسه ، وليس مُلْكاً لنفسه ، قال تعالى :

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[يوسف : ١٠١]

هذه الآية دقيقة جداً : سيدنا يوسف يصف بأنَّ الله قد آتاه الملك : أيَّ مُلْكٍ آتاه! لم يكن أميناً على خزائن الأرض فحسب ، بل آتاه الله

كذلك الملك الحقيقي ، فهذا الملك الذي يؤتيه الله لمن يشاء ، ملك زائل ، وليس مزية يفتخر بها ، فما الملك الحقيقي ؟ هو أنه مَلَكَ نفسه ، لمجرد أن قال : معاذ الله . . . حينما دعته امرأة ذات منصب وجمال ، حينما قالت : « هيت لك » قال : « معاذ الله » ، هذا هو الملك الحقيقي ، الملك الذي لا يزول ، الملك الذي تسعد به إلى الأبد ، أن تملك نفسك ولا تَمْلِكُك ، أن ينقاد لك هواك ولا تنقاد له ، إذا انقاد لك هواك وسيطرت عليه فأنت ملك ، إذا سيطرت على نفسك فأنت ملك ، إذا ملكت زمام نفسك فأنت مَلِك ، إذا سيطرت على شهواتك فأنت ملك ، إذا قدت نفسك إلى طريق الخير والسعادة فأنت ملك ، أما إذا قادتك نفسك إلى الضلال والشهوات والمعاصي والآثام فأنت مملوك ، إذا قادك عقلك أنت ملك ، إذا قادك هواك فأنت مملوك ، وشتان بين أن تكون مَلِكاً وبين أن تكون مَمْلوكاً .

أحد أكبر زعماء أوروبة ، في الحقبة السابقة ، والذي حقق انتصاراً ساحقاً في الحرب العالمية الثانية ، له كلمة لا أنساها ، قال : ملكنا العالم . . . ولم نملك أنفسنا ، نحن ضعاف أمام أنفسنا . شخصية كبيرة تغريه امرأة تعمل معه ، تنهار نفسه أمام فتنتها . إذاً أنت مملوك ، كل أهل الدنيا عندهم نقطتا ضعف مدمرتان : المال والنساء ، أَيْ : يملك أشياء كثيرة وله اطلاع واسع ، له قدرات عجيبة ، ومع ذلك المرأة والدرهم والدينار تمتلكه ، إذاً هو مملوك .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ** » [سنن ابن ماجه] .

المملوك من كان في خدمة المال ، ولم يجعل المال في خدمته ،

المال أصلاً مُسخر لك ، لكنك سُخِّرت له ، فأنت عبد له ، تعس عبد الفرج ، تعس عبد البطن ، تعس عبد الخميصة (أي الثوب) أي أنت مملوك .

إذا قرأتم هذه الآية ترنموا بها : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ الملك الحقيقي أن تملك نفسك لا أن تملكك ، أن ينقاد لك هواك لا أن تنقاد له ، أن تسيطر على شهواتك ، أن تكون مع الحق حيث كان الحق ، أن تكون وقَّافاً عند كتاب الله ، أن تعترف بالحق الذي لغيرك عليك ، وإن كان مُرَّاً ، هذه هي البطولة الحقيقية ، هذا ما اتجه إليه معظم المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

بعضهم قال : المَلِكُ : الذي ملك قلوب العابدين فأقلقها ، والحقيقة أن الإنسان منذ أن عرف الله عز وجل ، أو منذ أن بدأ في معرفة الله ، دخل في دوَّامة الحب ، أصبح مشغولاً ، أصبح عظيماً ، بعد أن كان تافهاً ، فالمؤمن قلق ، لا ينزاح عنه قلقه ، حتى يلقى الله عز وجل ، هل اللهُ راض عني ؟ هل عملي وفق ما يرضي الله ؟ هل الله يحبني ؟ هل في عملي إخلاص ؟ هل في عملي زيغ ؟ هل هناك ما أرجوه غير الله عز وجل ؟

ومَلَكَ قلوبَ العارفين فأحرقها ، المَلِكُ مَنْ إذا شاءَ مَلَّك ، ومن إذا شاء أهلك :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

إذا أعطى أدهش ، وإذا حاسب فتّش ، أعطانا قبل سنوات أمطاراً

غزيرة أخرجتْ سبعين ضعفاً عن إنتاج السنوات السابقة من القمح ، وإذا انحبست أمطار السماء ، فَمَنْ في الأرض كلها يستطيع أن يصدر قراراً بإنزال المطر ؟! ولو اجتمعت الأمم كلها ، المجالس كلها ، والقيادات كلها ، وإذا انحبست الأمطار مات الزرع ، وتبعه الضرع ، وتبعه الإنسان .

فنحن عبيد ، لأننا مفتقرون إلى ماء السماء :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] .

اللهُ سبحانه وتعالى المَلِكُ ، من إذا شاء ملّك ، وإن شاء أهلك ، الملك الحق من لاينازعه معارض ، لا معارضون ، لا مُشَوشون منتقدون ، ولا يمانعه ناقد ، فهو في تقديره منفرد ، وبتدبيره متوحِّد ، ليس لأمره مرد ، ولا لحكمه ردّ ، والمَلِكُ من دار بحكمه الفلك .

ذكر الله تعالى في آية واحدة خمسة بنود للملكية ، قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

العلماء فسروا المُلْك أنه ملك الآخرة ، كما فسَّروه أنه ملك الدنيا ، فإذا كنت مؤمناً ، مستقيماً ، صادقاً مخلصاً ، لك عمل طيب فأنت ملك ، ولكن مِن ملوك الدار الآخرة ، يوم لا ينفع مال ، ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ؟ والإمام علي يقول : « **الغنى والفقر بعد العرض على الله** » ، وقال سبحانه : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ ولكن ما معنى : من تشاء ؟ إذا قال الله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ما معنى : يهدي من يشاء ؟ يعني : من شاء الهداية هداه الله ، ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ : من شاء الضلالة أضله الله ،

فالهداية والضلالة ، أصلهما هداية جزائية ، أو ضلال جزائي ، مبني على هداية أو ضلال اختياريين ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] .

تؤتي الملك من تشاء : تؤتي الهداية من شاءها ، وتنزع الملك ممن تشاء : رفض الدين ، رفض رحمة رب العالمين ، رفض وعده العظيم ، أراد الدنيا ، أراد شهواتها ، ينصرف الإنسان إلى الملاهي ، إلى شهواته ، إلى معاصيه ، إلى انحرافاته .

بالمناسبة مُلْك الدنيا : يؤتيه الله لمن يحب ولمن لا يحب ، وأما مُلك الآخرة فلا يؤتيه إلا لمن يحب .

المعنى الثاني : ملك الدنيا ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

مَن مَلَّكَكَ هذا-البيت ؟ الله سبحانه وتعالى ، لمن كان هذا البيت ؟ لفلان ، كيف باعه ؟ ضاقت به الأمور فباعه ، من الذي جعلك خليفة له في هذا البيت ؟ الله سبحانه وتعالى ، هذا العمل من ولاّك إياه ؟ الله سبحانه وتعالى ، لماذا عُزِل فلان ؟ بحكمة الله وتقديره ، إذاً المعنى الآخر : تؤتي الملك مَنْ تشاء ، المعنى الدنيوي ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ما الحكمة ؟ لماذا أعطى فلاناً ومنع فلاناً ؟ ومَلَّكَ فلاناً ونزع من فلان ؟ لماذا رفع فلاناً وخفض فلاناً ؟ الجواب : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ يمتحنك بالغنى وبالفقر ،

بالصحة وبالمرض ، بالقوة وبالضعف ، فإذا كان هذا العبد متمرداً فما الجواب ؟ قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ فإذا كان طائعاً فما الجواب ؟ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه : ٨٢] .

إذاً : جعلكم خلائف الأرض ، ووزع الحظوظ توزيع ابتلاء ، وسوف تُوَزَّعُ في الآخرة توزيع جزاء ، إذاً هو مالك الملك : إما أن يُمَلِّكك ملك الآخرة ، أو ملك الدنيا ، أو ملك الآخرة والدنيا .

ماأحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ دخلنا في باب العز والذل ، هنالك شيء دقيق جداً : إذا أعزك الله سخر لك أعداءك ، وإذا أراد الله أن يذل عبداً ما ، أذله أقرب الناس اليه ، ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] :

اجعل لربك كل عز ك يستقرُّ ويثبُت
فإذا اعتززت بمن يمو ت فإن عزك ميّت

إذاً من لوازم أن الله مَلِك أنه هو الذي يعز وهو الذي يذل ، فكن مع العزيز .

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنّا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحمانا واحتَمِ بجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

بيدك الخير ، إذاً فالذلُّ خير ، ونزع المُلكِ خير ، ولكن يسمى شراً من وجهة نظر الإنسان .

تولج الليل في النهار ، تصريف الكون ، تسيير الكون ، الأرض تدور حول الشمس ، بمدار إهليلجي بيضوي ، مَن يجعلها على

مسارها تماماً ؟ هل في الكون كله قوة تستطيع أن تجعلها على مسارها لو خرجت ؟ إنها إن خرجت انتهت ، وجذبتها كواكب أخرى !!

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

يمسكها على مسارها ، إذا خرج القطار عن سِكَّته ، طفل رضيع أو نملة صغيرة أو ذبابة حقيرة هل بإمكانها أن تعيده إلى السكة ؟ ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ مَن جعل الأرض تسير في الثانية ٣٠ كم ؟ مَن جعلها تدور في الساعة ١٦٠٠ كم ؟ مَن جعلها بهذا الحجم ؟ من جعل بُعْدَها عن الشمس بهذه المسافة ؟ هذا من اسم الله : الملك .

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٧] .

ظاهرة توالد الإنسان ، تكاثر الحيوان ، ظاهرة النبات ، وتكاثره ، ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ : بذرة الزيتون تبدو لك قطعة من الخشب كامن فيها شجرة بقوة هذه البذور ، هذه أنماط الحياة ، دورة الحياة ، الشجرة يابسة في الشتاء كأنها خشب ، يأتيها الربيع فإذا هي خضراء .

مرة طلب سيدنا عمر من سيدنا عمرو بن العاص أن يصف له مصر وكان بليغاً ، قال :

« **يا أمير المؤمنين! مصر طولها شهر ، وعرضها عشر ، (يعني طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة عشرة أيام) ، يخط وسطها نهر ميمون الغَدَوات ، مبارك الرَّوْحات ، يا أمير المؤمنين بينما هي عنبرة سوداء (ترابها أسود اللون لخصوبته) إذا هي درَّة بيضاء (طوفان**

النيل) إذا هي زبرجدة خضراء ، فتبارك الله الفعَّال لما يشاء » .
[النجوم الزاهرة لابن تغري بردي]

وصف مصر في الشتاء ، وفي فيضان النيل ، وفي الربيع ، والصيف ، وصف طولها ، ووصف عرضها .

إذاً مِن معاني الملك أنه يقلب الليل والنهار ، ويخرج الحيَّ من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن معاني أنه يخرج الميت من الحي ، والحي من الميت : أن الكافر قد يلد مؤمناً ، وأن المؤمن قد يلد كافراً .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٥ـ٤٦] .

آخر بند في المُلْكية : ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قد يرزق الإنسان الضعيف ، وقد يفقر القوي الذكي ، لذلك التجار يقولون : ليس عند الله تاجر ذكي ، ومن دعاء المؤمنين على الكافرين « **اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم** » فالكافرُ يدبر فإذا هو يدمر نفسه . « ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[1] .

هناك سؤال : هل يَمْلِكُ العبد بالتمليك ، لو أنّ إنساناً ملَّكَك شيئاً هل تملكه ، كيف نناقش هذه الفكرة ؟ مالك هذه الدار ، هذه المركبة ، تملَّكَ بالثبوتيات تملكاً كاملاً ، هذا كلام نقوله نحن ، لكنْ

---

(١) من دعاء النبي ﷺ . ففيما رواه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كلِّ صلاة مكتوبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم! لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

هناك غلط كبير في هذا الكلام ، العلماء قالوا بالحرف الواحد : الأصح أن الإنسان لا يملك ! لماذا ؟ لأن استقلاله بالتصرف في شيء ما فرع من كونه مستقلاً في نفسه ، فإذا كان العبد لا استقلال له في نفسه ، وذاته البتة ، فكيف يكون مستقلاً في تصرفه في غيره ؟ ولهذا قال ربنا عزوجل مُعلماً رسولاً ومن بعده عباده :

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[الأعراف : ١٨٨]

إذا كان النبيُّ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، أفيملك النفع والضر للآخرين ؟ الجواب لا ، مِن باب أولى ، إذا كنتُ عاجزاً عن هداية ابني ! فهل بإمكاني أن أهدي ابنك ؟ مستحيل! لذلك فالكلام القطعي والثابت أن الله سبحانه وتعالى هو المَلِك الحقيقي ، وأن الإنسان إذا ملك فملكيَّةٌ مجازية ، فمثلاً ؛ قد يقول لك مستخدم في وزارة الخارجية : والله عيَّنَّا فلاناً سفيراً ! هذا كلام مجازي ، إنَّ الذي عين فعلاً ليس المستخدم بل الوزير ، أمَّا في الحقيقة المطلقة : الذي مَلَّكَ هذا الإنسان هذا المنصب ، هو الله سبحانه وتعالى .

العبد مثلاً متى يكون مسافراً ؟ إذا سافر سيده ، متى يكون مقيماً ؟ إذا أقام سيده ، هل للعبد استقلال في حركته عن سيده ؟ لا ، إذاً كلام قطعي : يجب أن تشعر وأنت تملك أوراق الملكية للبيت أن هذا البيت ملك الله عز وجل ، وفي أية لحظة يمكن أن تبيعه ، قد يتعطل جهاز بالجسم ، فيقال لك : هذه العملية تكلفتها ٨٠٠ ألف ليرة ومصاريف سفر وإقامة ، وبالعملة الصعبة ، والنتيجة بيتك ثمن

للعملية ، فتعرضه للبيع ، فسبحان مالك الملك .

ومثل آخر : كلية تكلفة زراعتها مليون ليرة ، وكل شيء تملكه ثمن لهذه العملية ، صمام القلب كلفته نصف مليون ليرة ، فالإنسان إذا عافاه الله فهو غني وغني بالمعنى الحقيقي .

هناك موضوع دقيق بعض الشيء ، وقبل الوصول إليه ، يقول تعالى :

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٥] .

إذا كان العبد مملوكاً لا يقدر على شيء ، فهل يكون مالكاً ؟ أَيْ : متصرفاً في ملك الآخرين ، هذا مستحيل ! لكن مابال الآية الكريمة تقول :

﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم : ٤] .

فتبصَّر يا أخي المؤمن ، الأمر دائماً بيد الله فكيف نفسر قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩] .

الآن ، الأمر لله ، وفي آية أخرى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ ﴾ ، وفي آية أخرى :

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾

[الأنعام : ٦٢]

وفي آية أخرى :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٧٠] .

وفي الدنيا لمن الحكم ؟ أليس الحكم لله ؟ بلى .

مثال آخر :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣] .

وكما يقول الله تعالى :

﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٣] .

بيدِ مَنْ كانت إذاً ؟ هنا العلماء وقفوا وقفة رائعة قالوا : الحقيقة أَنَّ الأمر بيد الله من قبل ومن بعد ، والحقيقة أن الحكم لله دائماً ، والحقيقة أنه إليه يرجع الأمر كله دائماً ، لكنِ الكفار ، الغافلون ، الشاردون ، الضعاف ؛ يرون أنَّ الأمر بيد زيد أو عبيد في الدنيا ، والحكم بيد فلان والأمر بيد علان ، أما إذا كان يوم الدين كل الخلائق قاطبة ترى أن الأمر بيد الله ، وأَن الحكم لله ، وأنه إلى الله تصير الأمور ، فالبطولة أَنْ ترى هذا الشيء في الوقت المناسب .

إذاً حتى الكفار والشاردون ، وحتى أعتى الكفرة ، سوف يرون أن الأمر بيد الله ، وأَنَّ الحكم لله ، وأَنَّه إليه يرجع الأَمر كله ، ولكنهم في الدنيا لا يرون الله عز وجل ، يرون أولياء من دونه ، يرون مراكز القوى في الحياة هم يعبدونها من دون الله ، ويوم القيامة يرون الحقيقة .

إذاً القضية قضية وقت فقط ، إما أن ترى الحق في الوقت المناسب قبل أن يفاجئك الموت ، أو لابد أن تراه يوم القيامة فتكون الحسرة أية حسرة ، إذاً البطولة لا أن تنتظر إلى أن ترى مع الآخرين الحقائق ، البطولة أن ترى الحقيقة في الوقت المناسب ، كي تستفيد منها .

هناك شيء آخر : لماذا لا يكون العبد مالكاً مطلقاً ؟ قيل : لأنه لايستغني عن كل شيء : فلو افترضنا أنّ ملكاً عظيماً يستغني عن كل أفراد رعيته ، فهل يستغني عن الهواء أو عن الماء أو عن الطعام أو عن الزواج ؟ لذلك حين طلب هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي ترامت أطراف دولته إلى أقاصي الدنيا ، كأس ماء ، قال له ابن السماك وكان واعظاً ذكياً : يا أمير المؤمنين! بكم تشتري هذا الكأس لو منع عنك ؟ قال : بنصف ملكي ، قال فاشرب هنيئاً فلما شرب قال : أرأيت لو منعت خروجه بكم كنت تشتري ؟ قال : بنصف ملكي الآخر ، قال : إن ملكاً قيمة نصفه شربة ماء وقيمة نصفه الآخر بولةٌ ، لخليق أن لا يتنافس فيه ، فبكىٰ الرشيد [البداية والنهاية ١٠/٢١٥ ، تاريخ بغداد ١٤/٨ تاريخ الخلفاء ٢٩٣ وابن السماك : محمد بن صبيح أبو العباس الواعظ] .

في بعض متاحف القاهرة فرعون من فراعنة مصر الكبار اسمه توت عنخ آمون كشفت مقبرته بأكملها ، كما دفن معه طبعاً من الذهب والحلي والأغراض مالا سبيل إلى وصفه ، ولكن وقفت عند نقطة واحدة : أن هذا الملك مات شاباً في الثامنة عشرة من عمره ، حيث إنّ التابوت قصير جداً ، والجثة قصيرة جداً ، قلت وقتها : سبحان الله ! مهما كان الإنسان مالكاً ، ولديه من الثروات مالديه تبقى

الحياة بيد الله عز وجل ، فمصر كلها كانت بيده ، مقدرات مصر كلها بيده ، ومع ذلك توفاه الله في الثامنة عشرة من عمره ، فالمقبرة عامرة بالذهب ، وبشتى أنواع الحلي ، وبشيء تحار فيه العيون ، ومع ذلك مات في سن مبكرة ، فما أغنى عنه مالُه ، ولارَدَّ الموت ملكه ، إنه مُلك ، ولكنّه عارية .

قال بعض الأمراء لبعض الصالحين وقد التقيا يوماً : سلني حاجتك ؟ فقال له الصالح : إليَّ تقول ؟! قال الأمير : نعم ، قال الصالح : لي عبدان هما سيداك ، قال الأمير : ومن هما ؟ قال الصالح : الحرص والأمل ؛ الحرص على الدنيا والأمل المديد هما عبدان عندي ، وهما سيداك ، فقد غلبتُهما وغلبَاك ، وملكتُهما وملكاك ، فالإنسان يكون ملكاً إذا سيطر على شهواته .

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة ومعهما أصحاب لهم حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائماً في المنزل يصلي .

قال : فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة ، فأوجز في صلاته ثم قال : ألك حاجة ؟ قالت : نعم! قال : ما هي ؟ قالت : قم فأصب مني فإني قد ودقت ولا بعل لي . . فقال : إليك عني لا تحرقيني ونفسك بالنار .

ونظر إلى امرأة جميلة فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد ، قال : فجعل عطاء يبكي ويقول : ويحك! إليك عني! قال : فاشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة

لبكائه قال فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي! فبينما هم كذلك إذا جاء سليمان من حاجته .

ولبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة قال وكان أسن منه .

قال ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذا استيقظ وهو يبكي ، فقال سليمان : ما يبكيك يا أخي ؟ قال : فاشتد بكاؤه ، قال : ما يبكيك يا أخي ؟ قال رؤيا رأيتها الليلة قال : وما هي ؟ قال : لا تخبر أحداً ما دمت حياً ، رأيت يوسف النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إليَّ في الناس فقال ما يبكيك أيها الرجل ؟ فقلت : بأبي أنت وأمي يا نبي الله! ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه! قال : فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكياً .

قال سليمان : أي أخي! وما كان من حال المرأة ، فقص عليه عطاء القصة ، فما أخبر بها سليمان أحد حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت إسماعيل بن يسار رضي الله عنهما .

هذا هو الملك الحقيقي عندما تطيع الله عز وجل .

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفاً من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك

عبيداً بالمعصية وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم له ، إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً وذلك جزاء المفسدين ، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكاً ، فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه : إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

فالحقيقة هي : مَن تحقق مِن ملك سيده كأنه ملك كل ملك سيده .

حُكي عن شقيق البلخي أنه قال : كان ابتداء توبتي أن رأيت غلاماً في سَنَةِ قحطٍ يمرح زهواً والناس تعلوهم كآبة ، فقلت له : ياهذا ما هذا المرح ؟ ألا تستحي ؟ أما ترى ما فيه الناس من المحن . ؟ فقال : لا يحق لي أن أحزن ولسيدي قرية مملوكة أدخر فيها كل ما أحتاج ، فقلت في نفسي : إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش ، لأن لسيده قرية مملوكة ومولاه مخلوق فقير ، فكيف يصحُّ أن أستوحش أنا وسيدي مالك الملوك ، فانتبهت وتبت ـ الغلام لقَّنه درساً في التوبة ـ إذاً بعضهم يقول : دبِّر أو لا تدبر ، فالمدبر هو الله سبحانه :

كن عن همومك معرضا ... وكِلِ الأمور إلى القضا
وابشر بخيرٍ عاجل ... تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط ... لك في عواقبه رضا
ولربما ضاق المضيـ ... ـق وربما اتسع الفضا
الله يفعل ما يشا ... ء فلا تكن معترضا
الله عودك الجميـ ... ـل فقس على ما قد مضى

* * *

ومن رائق الشعر قولهم :

ولرُبّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تُفرجُ

سمعت أنه نزلت في إيطاليا في عام من الأعوام أمطارٌ في ليلة واحدة تعادل أمطار العام بأكملِهِ وفي لحظة واحدة ، فإن الله عز وجل قادر على أن يرزقنا مطراً غزيراً يصبح المعدل فوق المعدل الطبيعي ، ولو تأخر المطر ، فالأمر بيد الله عز وجل ، لكن لا تنسوا أنَّ تقليل الله عز وجل للماء تقليل تأديب لا تقليل عجز .

من آداب الإيمان بأن الله هو الملك ، أن يكون العبد بما في يَدَيِ الله أوثق منه مما في يديه ، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك مما في يديك ، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، إذا أردت أن تكون أكرم الناس منزلةً فاتق الله .

حاتم الأصم كان صائماً يوماً ، فلما أمسى قُدِّم إليه فطوره ، فجاء سائل فدفع ذلك الفطور إليه ، فَحُمِلَ إليه في الوقت ذاته طبق عليه كل ألوان الأطعمة ، فأتاه سائل آخر فدفع إليه كل ذلك ، ففتح بصره فإذا دنانير في الوقت نفسه بين يديه ، فلم يتمالك أن صاح : الغوث من الخَلفِ ، وكان في جيرانه من يسمى « خلفاً » ، فتسارع الناس إليه وقالوا : يا أخي ؟ لمَ تُؤذي الشيخ ؟! وما زالوا به حتى جاؤوا به إلى الشيخ وقالوا : هذا خَلَف جاءك معتذراً ، فقال : إني لم أعْنِهِ أبداً إنما عجزت عن شكر الله عز وجل على ما يعاملني به من الخلف ، فكلما أنفقت شيئاً أعطاني الله خيراً منه .

عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء فكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً .

فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف فقال : إن استطعت لأدخلنها قائما فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله[١] .

من عرف أَنَّ الملك هو الله وحده : أَنِفَ أن يتذلل لمخلوق ؛ وقال بعضهم : أيجمل بالحرِّ أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد ؟! أُطلبْ تعطَ ، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، أيليق بك وقد عرفت أنَّ الله هو الملك ، ولا ملك سواه أن تتذلل لسواه ؟ مَنْ عرف الله لم يحتج إلى عَوْنِ المخلوقين وفتنتهم ، وبذا تستغني عن الناس ، والاستئناس بالناس من علامات الإفلاس .

عن أبي الحسين الحمادى القاضي قال : سمعت الفتح بن شخرف يقول : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت له يا أمير المؤمنين أوصني قال لي « ما **أحسن تواضع الأغنياء**

---

(١) رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني وفيه عمارة بن زاذان ضعفه النسائي والدارقطني . وقد شهد عبد الرحمن بن عوف بدراً والحديبية وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وصلى خلفه .

قاله الإمام الذهبي في السير [١/ ٧٧] وقال : وبكلِّ حالٍ فلو تأخر عبد الرحمن بن عوف للحساب ودخل الجنة حبواً على سبيل الاستعارة وضرب المثل فإن منزلته في الجنة ليست بدون منزلة علي والزبير .

للفقراء وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء » قال : فقلت له : زدني فأومأ إليَّ بكفه فإذا فيه مكتوب

قد كنت ميتاً فصرت حيا وعن قليل تصير ميتا
أغنى بدار الفناء بيت فابنِ بدار البقاء بيتا

وإذا وثقت بالله عزوجل الله لا يخيبك ، من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ودخل النار .

وكان أمية الشامي يقول : « **ألا إن المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة** » قيل لبعض الشيوخ : أوصني ، فقال : كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة ، فقال : وكيف أفعل ذلك ؟ قال : ازهد في الدنيا تكن ملكاً في الدنيا ، استغنِ عن الرجل تكن نظيره ، واحتج إليه تكن أسيره ، أحسن إليه تكن أميره ، فإن كنت ملكاً في الدنيا كنت ملكاً في الآخرة .

سئل الحسن البصري : بمَ نلت هذا المقام ؟ قال : باستغنائي عن دنيا الناس ، وحاجتهم إلى علمي .

قال سفيان بن عيينة : بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل مشرف على الناس حسن الشيب فقلنا بعضنا لبعض ما أشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم ، قال : فاتبعناه حتى قضى طوافه وصار إلى المقام فصلى ركعتين ، فلما سلم أقبل على القبلة فدعا بدعوات ثم التفت إلينا فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا له : وماذا قال ربنا ؟ قال ربكم : أنا الملك أدعوكم إلى أن تكونوا ملوكاً ، ثم أقبل على القبلة فدعا بدعوات ثم التفت إلينا فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا له : وماذا قال ربنا يرحمك الله ؟ قال : قال ربكم أنا

الحي الذي لا يموت ، أدعوكم إلى أن تكونوا أحياء لا تموتون ، ثم أقبل على القبلة فدعا بدعوات ثم التفت إلينا فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا : ماذا قال ربنا ؟ حدثنا يرحمك الله! قال : قال ربكم أنا الذي إذا أردت شيئاً كان أدعوكم إلى أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئاً كان لكم ، قال ابن عيينة ثم ذهب فلم نره .

كأن الله عز وجل يقول للإنسان حين يدخل القبر :

« عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبقَ لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت » .

قال : ألم تسمع ربك يقول : أنا الحي الذي لا أموت ، فإن أطعتموني جعلتكم أحياء لاتموتون في جنة عرضها السموات والأرض ، أنا الملك الذي لا أزول ، هلموا أطيعوني أجعلكم ملوكاً لا تزولون ، ملوك الدار الآخرة ، أنا الملك الذي إذا أردت شيئاً قلت له كن فيكون ، هلموا أطيعوني أجعلكم كذلك ، أي : كلما دعوتموني أجبكم ، كلما سألتموني أعطيتكم ، أنا عند ظنكم : **« ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه »** .

هذه بعض التعريفات والآداب والحدود في شأن اسم الله الملك .

* * *